التماس الأسوة الحسنة في خاتم النبيين وإمام المرسلين ﷺ

{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا} .. [الأحزاب: ٢١]

تأليف
د.محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ في كلية الدراسات العليا جامعة الأزهر
عضو الرابطة العالمية لخريجي الأزهر

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم أنبياء الله أجمعين وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه إلى يوم الدين .. وبعد:

ففي هدأة الليل .. وتباشير الصباح وشيكة الانبلاج، وفي شعب بني هاشم بمكة البلد الحرام خرج إلي الوجود وليد لا يكاد يحسه إلا عشيرة بني هاشم، وإلا جده الشيخ عبد المطلب الذي ظل بمجلسه ينتظر النبأ السار بعد أن فقد ابنه عبد الله أحب أبنائه إليه، انه ينتظر من السماء عوضا عن هذا الشاب الذي اخترمته المنية وهو لم يتجاوز العشرين ربيعا في إحدى سفراته للتجارة.

ولقد كانت السماء رحيمة بالشيخ الوقور، حفية بهذا الطفل الرضيع، إذ لم يكد يخرج إلي النور حتى حُمل إلي جده، فقرت عيناه بعد دموع غزار وسماه محمدا، وكأنما كان يخترق حجب الغيب، وخفايا المستقبل حين سئل عن سبب اختياره هذا الاسم للطفل الصغير، فأجاب: (إني لأرجو أن يُحمد في السماوات والأرض).

ولم يكن هذا الاسم كثير التداول بين قبائل العرب، ولعل الشيخ عبد المطلب لم يكن يدري أن هذا الطفل هو دعوة إبراهيم خليل الله أبان بنائه للبيت الحرام هو وولده إسماعيل عليهما السلام حيث قال: (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) [البقرة: ١٢٩] .. كما لم يكن يعلم أن محمدًا هو النبي المنتظر الذي بشر به موسى عليه السلام في توراته وعيسى عليه السلام في إنجيله، على ما جاء في كلام من: (من أنزل التوراة والإنجيل. من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) وفيه قوله: (ومبشرًا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد) [الصف: ٦].

بيد أن العالم كله – وقريشًا بخاصة – لم يكن يُقَدِّر ما سيكون لهذا اليتيم الوليد من شأن عظيم في هداية الناس إلى المحجة البيضاء، والصراط المستقيم .. وكيف يدرى العالم أو يُقَدر ما للصغير من شأن وقد ولد في مهاد العدم، وفراش الإملاق؟ أن هذا العالم في ذلك الوقت لا يقدر إلا الجاه والنفوس، والمال والسلطان، والعصبية العمياء، والجمود الممقوت.

لكنه إلى جانب هذا الليل المدلهم الذي غشى العالم، والظلم والفساد الذي استشرى كان هنالك من المتنسكين ممن سُمُّوا بالحنفاء من يدعو إلى الحق، والى مناجاة السماء، وتلمس الخير عندها، وابتغاء الهدى عن طريقها، بعد أن أنكروا حياة العرب في الجاهلية بما لابسها من ظلم الغنى للفقير، وعبادة الأصنام، والعربدة في المجتمع وشرب الخمر ولعب الميسر، ووأد البنات وامتهان النساء .. كان هؤلاء الهداة يتوقعون رحمة السماء بالأرض، إذ لا يعقل أن يستمر الفساد شاملًا والظلم فادحًا، واستغلال الأغنياء للفقراء قانونًا، والسادة للعبيد لازمًا.

لكن متى كان الفقر حائلًا دون فيض الله علي الفقير، واصطفائه دون الأغنياء؟ إن كتب السماء، وأسفار التاريخ تنبئنا بأن الرسل والأنبياء والمصلحين، في كل زمان ومكان لم ينشئوا مترفين، ولا عاشوا حولهم الخدم والحشم، بل كانوا يمتحنون منذ نعومة أظفارهم بالفقر واليتم والغربة، وكانت المشكلات تقابلهم، والعوائق تعترضهم، ولكنهم بفطرهم السليمة، وعقولهم الرشيدة كانوا يتخطون هذه الصعاب، ماضيين في طريقهم إلى هداية شعوبهم، وانتشالها من وهدة الفساد، والتردي في مهاوي الدنس والفجور.

وكذلك النبي عليه السلام لم يمنعه الفقر واليتم، أن يسعى جاهدا للتغلب على الأوضاع داخل مكة، وأن يسعى كذلك لأن يغير ما كان منها وما كان عليه دهماء ووجهاء قومه من أمور لا يرضى عنها رب الأرض والسماء، فكان مثالًا في الصبر والأناة وكظم الغيظ والحلم ومواصلة الدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .. حتى ساعة أن كان راعيا للغنم، وتاجرا في مال خديجة، ومحاربًا مع أعمامه في حرب الفجار، إذ وسم في هذه المرحلة من حياته الكريمة بالصدق واتصف بالأمانة، وعرف بالبعد عن الخنا، كما عرف عنه ترك اللهو واحتقار الأصنام، والتزم طريق

الجادة بينه وبين نفسه وبين مجتمعه، ولم تشغله التجارة في مال خديجة زوجه عن الخلود إلي نفسه مفكرًا حتى كان مضرب المثل في كل ذلك ومحط الاقتداء والأسوة الحسنة.

وفي هذا البحث المتواضع نصول ونجول حول هذه المعاني السامية، رجاء أن نتلمس من خلالها بعض جوانب العظمة في حياته ﷺ لتكون لنا نبراسًا ومنهج حياة .. وقد اقتضت خطة هذه الدراسة المتواضعة أن تأتي في مبحثين:

يدور أولهما حول الحديث عن التماس القدوة في جوانب شخصيته صلوات الله وسلامه عليه الاجتماعية، وشهادة الأعداء له في هذا الجانب الخطير من حياته عليه السلام والحديث عن مدى تأثرهم بشخصه وبمدى إعجابهم به .. ويأتي المبحث الثاني ليتناول طرفًا من شمائله التي توجب محبته والتأثر به والتخلق بأخلاقه وما يستتبع ذلك من حقوق وواجبات.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

المبحث الأول
اتخاذ الرسول ﷺ قدوة في إصلاح الجوانب الاجتماعية

أولًا: طرفًا من الجوانب الاجتماعية في شخصية الرسول ﷺ
ثانيًا: شهادة الأعداء له ﷺ والحق ما شهدت به الأعداء

المبحث الأول
اتخاذ الرسول ﷺ قدوة في إصلاح الجوانب الاجتماعية

أولًا: طرفًا من الجوانب الاجتماعية في شخصية الرسول ﷺ:

تتجلى عظمة الجوانب الاجتماعية في شخصية الرسول الكريم محمد ﷺ .. في أنها أصبغت على الإنسانية سر كمالها وهدايتها .. في زمن استشرى فيه الفساد واضطربت فيه مقاييس الأخلاق وعم الدنيا طوفانٌ جامح من الشر، فالآلهة شتى والأصنام تعبد من دون الله، والفوضى الطاحنة ترسي أوتادها شرقًا وغربًا وفي كل مرفق من مرافق الحياة، وقد أجاد أحمد شوقي في تصوير هذا الوجه الكالح من الحياة قبل البعثة النبوية الشريفة وهو يقول:

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم ** إلا على صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جورًا مسخرة ** لكل طاغية في الخلق محتكم
مسيطر الفرس يبغي في رعيته ** وقيصر الروم من كبر أصم عم
يعذِّبان عباد الله في شُبه ** ويذبحان كما ضحيت بالغنم

وظل أمر الحياة والأحياء كذلك إلى أن تداركتهم عناية الله بانبلاج صبح الإسلام الذي حمل محمد ﷺ لواء دعوته، وانطلقت بشرى الإنقاذ بميلاد هذا الرسول المنتظر الذي ورد ذكره في التوراة والإنجيل وبشر به الأنبياء والرسل السابقون، فغيّر ﷺ مجرى الحياة ولوى عنق الشرك وزلزل كيان الباطل وأنار العقول والبصائر، وأسس أمة بما أنزل عليه من تشريعات فيها هداية الإنسانية ورشدها وعزتها ومجدها وبما كان عليه من خلق عال رفيع.

ولم يكن الرجل ذا قرابة تسانده ببطشها وجبروتها، أو تقف بجواره بجاهها وسلطانها، ولم يكن ذا مال يؤثر به على من حوله ويغدقه على أناس يتألف به قلوبهم، وإنما كان مع يتمه وفقره عزيزًا كريمًا .

ونحن لو بحثنا عما يذل النفس ويقتل فيها روح الطموح إلى المجد والنزوع إلى السيادة، فلن نجد مثل الفقر واليتم أو هما معًا، ونبينا محمد ﷺ تمكن منه الفقر ولكنه فقر يتمناه ذوو الثراء وأصحاب الأموال، وتسلط عليه اليتم ولكنه اليتم الذي يتطلع إليه ذوو الآباء .. فهو عليه من الله أفضل الصلاة وأتم السلام لم يهن ولم يتخاذل ولم يؤثر ذلك كله في شرفه وعزته ودأبه على الخير.

ولقد كانت حياته عليه السلام منذ بدايتها حياة مشرقة طيبة، كانت كذلك يوم كان طفلًا .. ويوم كان يحبو .. ويوم شب عن الطوق .. ويوم بلغ مبلغ الرجال يرتاد مجالس قومه ويتحدث إليهم بالقول الفصل والرأي السديد .. والدليل على ذلك شهادة حتى من كان يناصبه العداء من قومه بالحزم والكياسة ووصفهم له بالصادق الأمين، وإعجابهم به واحترامهم لرأيه،ولقد كان تقدير قومه له مبينًا عما يلمسونه فيه من نبل وما يرونه فيه من خير، كان مقربًا للضيف يحمل الكل يكسب المعدوم يعين على نوائب الدهر يحكم بالعدل يسعى لرأب الصدع وتجميع الكلمة ووحدة الصف .. وحسبنا في هذا المجال ما نزل في حقه من آيات ترفعه إلى مكان القداسة وتسمو به إلى درجة لا يصل إليها أحد من مخلوقات الله على الإطلاق، حيث يقول رب العزة في شأنه: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا) [النساء: ٦٥].

لقد جعل الله رأيه فصلًا، وحكمَه قضاء، ووحيَه عقيدة تملأ شغاف القلوب وتسيطر على الأحاسيس والمشاعر، ومع كل هذا هو المتواضع في أدب جم والجامع لأصول المكارم وجميل الصفات، يعفو ويصفح، يقبل العذر ويقيل العثرة، يتناسى الإساءة ويؤثر سواه على نفسه، يجود بما في يده ولا يخشى من ذي العرش إقلالًا .. صنعه الله على عينه وتولى سبحانه بنفسه رعايته وتربيته، وعندما سأله من أعجب بأخلاقه وأدبه قال: (أدبني ربي فأحسن تأديبي).

لقد كان خلقه القرآن كما تقول عنه السيدة عائشة عنه حين سئلت عن أخلاقه، وكان كما وصفه ربه: (وإنك لعلى خلق عظيم) [القلم: ٤]، وكان صلوات الله وسلامه عليه ينبأ عن نفسه ويقول: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .. ولأجل ذلك فإن الإعجاز في حياة الرسول لم يكن في تبليغه للرسالة وتأثيره في الناس بحسن بلاغته فحسب، ولكن أيضًا فيما ربى عليه أصحابه وفي القيم التي بثها فيهم لتقييم قواعد المجتمع الصالح وتحريره من ربقة التقليد والمتابعة فيما يحسن وما لا يحسن، يقول ﷺ: (لا يكن أحدكم إمعة، يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت، ولكن وطّنُوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم)([1]).

الأمر الذي يعني أنه ﷺ لم يكن راضيًا عن كثير من الأمور التي جبل عليها القوم داخل مجتمعه، وعنده في ذلك الحق كل الحق، فهل يمكن أن يتساوى أمام الله عابد الصنم وعابد الله؟ وهل يصح عقلا أن يكون ناهب المال، ولاعب الميسر، وشارب الخمر، ووائد البنت في ميزان واحد مع الذي لم يقارف هذه الموقبات؟ .. وكما كان كذلك غير راض عن هذه الأوضاع لم يكن مرتاحا إلي ربا عمه العباس الذي استغل فيه حاجة المعوزين، كما كان منكرا لغطرسة أبي جهل وكبرياء أبي سفيان، وتجبر عمه أبي لهب وتطاول الوليد بن المغيرة سيد بني مخزوم.

لقد بعث ﷺ وأمة العرب وعلى رأسهم من ذكرنا أسرى خُرافات وعبدة أوثان، ضلوا الطريق الذي هو الصلة بين الأرض والسماء وعميت أبصارهم عن رؤية الخير وران على قلوبهم غشاوة الجاهلية، عبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئًا، فنحتوا الأصنام بأيديهم وصنعوها على أعينهم واتخذوها أربابًا يرجون منها الخير ويستدفعون بها الشر .. كما تحللوا من كل فضيلة وتجاوبوا مع كثير من الرذائل فكانوا يتعاملون في غش ويتعاونون على الإثم والعدوان، وكثيرًا ما تقام الحروب بينهم لأتفه الأسباب، فلا حياة لهم إلا سل السيوف من أغمادها لا من أجل تثبيت حق أو دعوة إلى فضيلة أو نجدة ملهوف أو رفع ظلم عن مظلوم، بل من أجل أن يقال أنهم أغاروا على قوم فغلبوهم ونهبوا أموالهم واستباحوا حرماتهم، ولقد عبر شاعرهم عمرو بن كلثوم عن سجيتهم بقوله:

بغـــــاة ظالميـــــن وما ظـلمنـــا *** ولكـــنا سنبدأ ظـالمينـا

ويقول زهير بن أبن سلمى أحد أصحاب المعلقات يبرر الظلم ويدعو قومه إليه:

ومن لا يذُد عن عرضه بسلاحه يُهَدَّم *** ومن لا يَظـلم الناس يُظـلمُ

كما بلغوا من فساد الأخلاق وتحجر الأفئدة أن كانوا يئدون بناتهم خشية العار أو الفقر، وإلى هذا يشير القرآن بقوله: (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشربه أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون) [النحل: ٥٨، ٥٩].

ومن ناحية أخرى كانت العلاقات الاجتماعية منعدمة، فليس للجوار حق مصان وأصبح الصراع الطبقي البغيض يسيطر علي عرب الجزيرة، القوي يبطش بالضعيف والفقير أسير الغني، وبذلك طغي سلطان المادة وشعرت الحياة الفاضلة بالوحشة وأحست بالغربة([2]) .. وأضحت الدنيا في حاجة إلى ربان ماهر وقائد رشيد وحاكم مصلح، وشاء الله أحكم الحاكمين أن تكمن جميع الصفات الفاضلة في رسوله وصفيه الذي بعثه هاديا ومرشدًا وموجها ومصلحًا، استطاع أن يحول العرب من النقيض إلى النقيض، فدعا أول ما دعا إلى إصلاح العقيدة والتي هي من أسمى العقائد التي عرفتها الإنسانية، عقيدة توجه الإنسان إلى النظر في الكون ليرى إحكام خلقه ودقة صُنعه، وبذلك يؤمن بفطرته السليمة أن لهذا

([1]) ينظر ص ٢١٥ من كتاب المولد النبوي هدية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على مجلة منبر الإسلام عدد ربيع الأول لسنة ١٣٩٦.

([2]) ينظر تفاصيل ما كانوا عليه في الرحيق المختوم للمبارك فوري ص ٣٧ وما بعدها.

الملكوت خالقا وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن قدرته لا تحدّ، وأن أخذه للظالم شديد وسوف يجزي كل امرئ بما عمل إن خيرا فخير وإن شرًا فشر.

وبالعقيدة الصحيحة التي تفيأ ظلالها من استجاب لها وتفاعل معها، فقوي بعد ضعف وعز بعد ذل ورأي من خلال إشراق العقيدة وصفاء الإيمان ما احتوت من مبادئ وقيم .. اتضح الحق وتحددت العلاقة – على أساس العبادة لله وحده والموالاة والمعاداة لأجله – بين الإنسان وأخيه الإنسان (أشداء على الكفار رحماء بينهم) [محمد: ٢٩]، وبينه وبين خالقه (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) [الذاريات: ٥٦: ٥٨] .. ومن غير هذا لا تستقيم الحياة ويكون الاستبدال، وفي هذا يقص القرآن في ندائه أهل الإيمان: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) [المائدة: ٥٤].

وبعد أن استقرت العقيدة في قلوب خالية لها فتمكنت فيها، وجه الرسول دعوته إلي القضاء علي العصبية والصراع الطبقي وعبادة الإنسان للإنسان وإلغاء الفوارق بين بني البشر، ووضح وبين أن منزلة العبد لدي خالقه ارتفاعا وانخفاضا بقدر ما يتقرب إليه من عمل صالح كما يتضح من كتاب الله: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) [الحجرات: ١٣].

ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يجسد نداء السماء المتجدد إلي تطبيق عملي فكثيرا ما يقول لأصحابه: (إنما أنا بشر مثلكم، لا أحب أن أتميز عليكم) .. ولقد بلغ من عظمة هذا النبي الكريم أن ساوى بين الناس جميعًا وجعلهم في بوتقة الإيمان سواسية كأسنان المشط، فقد كان بلال الحبشي مؤذنا للدولة الإسلامية الرشيدة، وأسامة بن زيد قائدا لجيش المسلمين وتحت إمرته الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وسلمان الفارسي أوصله الرسول إلي منزله آل بيت فقال: (سلمان منا آل البيت)([3])، وبالقضاء علي هذه الفوارق والتحلل من العصبية، هدأت النفوس وسكنت الأفئدة واطمأنت الخواطر وأصبح المسلم أخا للمسلم لا يسلمه ولا يخذله.

وأما الروابط الاجتماعية فقد أرسي رسول الله قواعدها علي أساس من تعاليم الإسلام فالقتال الذي أذن فيه للرسول لا يكون إلا عند الضرورة كما يتضح من كتاب الله: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [البقرة: ١٩٠] وحول هذا المعني يقول رسول الله: (لا تتمنوا لقاء العدو ولكن اطلبوا من الله السلامة) .. وسعد الجار بجواره وتجاوب مع المعني الذي يدل عليه قول رسول الله: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه).

وأما المرأة فعاشت في ظلال الإسلام عزيزة مكرمة شريكة للرجل في القيم الإنسانية، تسمع وتقول وتسأل عن أمر دينها، كما جعل لها الإسلام حقا في الميراث وحرية اختيار شريك حياتها كما يفهم من حديث رسول الله: (لا تنكح البكر حتى تُستأذن ولا تنكح الأيم حتى تستأمر) .. ولقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله في بيته أجابت: (كان في مهنة أهله)، ولا عجب فهو القائل: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خيارهم لنسائهم).

بهذه المبادئ وعلي درب الإصلاح السليم والمثل العليا والمبادئ السامية التي جمع الرسول أمة الإسلام عليها فانساحوا في الأرض يحيون مواتها ويورقون أشجارها ويغذون ثمارها بعد أن رأوا في نبيهم أعظم المثل ورأوا في إسلامهم ما يصلح دينهم ودنياهم، وراحوا يعيشون وينعمون في ظلاله الوارفة يومهم وغدهم، ولا غرو فهو الدرع الواقي والحصن الحصين لمن تمسك بتعاليمه وسار قولًا وعملًا على هداه وخطا نبي الله ومصطفاه يصلح نفسه ومن حوله مرتسمًا أمامه طريقته ﷺ في الإصلاح

([3]) ينظر كتاب عظمة الإسلام١/ ٣٦١ وما بعدها للأستاذ محمد عطية الإبراشي.

ومختطًا سبيله منهجه([4]) .. وصدق الله القائل: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا) [الأحزاب: ٢١]، يقول ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله"([5]).

ثانيًا: شهادة الأعداء له ﷺ والحق ما شهدت به الأعداء

لقد حار أعداء الإسلام من العرب في أمر هذا القرشي الذي لا جاه له، ولا سلطان ولا مال، ومع هذا فنفوذه في ازدياد، ودعوته تنتشر من مكة إلي ما حولها من قبائل وقري، والمسلمون يزيد عددهم كل يوم ويحرصون علي دينهم ورسولهم أشد من حرصهم علي أنفسهم وأولادهم، والنبي عليه السلام ماض في دعوته ولا يبالي قريشًا .. يسفه أحلامهم، ويعيب آلهتهم التي لا تدفع عن أنفسها الضرر، بل لا تعي ما يقال لها، فإذا ما قيل لهم كيف تعبدون ما تصنعون؟ أجابوا دون فهم أو تدبر: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفى) [الزمر: ٣].

ويظل عليه السلام يتحداهم بالقرآن ومحاولة إقناعهم بأنه منزل من عند الله، وأنه رسول الله إليهم خاصة، وإلي الناس عامة، وأن هذا القرآن هو حجة إليهم بما حوي من إشارات تاريخية، ودلالات كونية وتشريعات محكمة، وعبادات مهذبة وأوامر ونواهٍ فوق فصاحة عبارته، وبلاغة كلمة ونورانية تنبعث من نسيج جمله، تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور من مثله أو بأية من آياته، فكان الجواب: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن علي أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا) [الإسراء: ٨٨]، (وإن كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا فأتوا بسورة من مثله) [البقرة: ٢٣].

وأني لزعماء قريش وأرباب الفصاحة منهم أو من غيرهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن؟؟ إنهم يعرفون صدق النبي وأمانته، وقد عاش بينهم لم يجربوا عليه كذبا، فما كان ليكذب علي الله وهو لم يكذب عليهم قط في جد أو هزل، ولكنهم يغارون منه ويحسدونه علي ما أتاه الله من فضله، ويقيسون النبي بمقياس الدنيا: (وقالوا لولا نزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم. أهم يقسمون رحمة ربك) [الزخرف: ٣١، ٣٢].

وقد دلت حركة التاريخ علي أن معارض الرسل والأنبياء، ودعاة الإصلاح هم القادة والملوك وذوو الجاه والنفوذ خوفا علي مكاسبهم أن تضيع، ونفوذهم أن ينمحي، وأن أول المصدقين بالرسل والدعاة هم الذين يعانون القهر والاستغلال، ويتحينون الفرص للتخلص من الذل والعنت، وكذلك بعض من صلحت نفوسهم، واستقامت فطرتهم وخلائقهم. ولهذا نري أول المصدقين بالرسول: زوجه خديجة وصديقه أبا بكر، وابن عمه عليا، ثم بلالًا وعمارًا.. وكان هؤلاء هم البذرة الأولي لشجرة الإسلام التي امتدت جذورها وعلا ساقها وانتشرت فروعها، ثم آتت أكلها.

نعم حرر النبي عليه السلام العقول من رق الجمود، وحرر العبيد من رق التملك، وحرر المرأة من الامتهان التي كانت تلاقيه من الرجل وأنزل لها سورة من السور الطوال بين فيها حقوقها وواجباتها وآدابها، فأعطاها حق التصرف في مالها وحق مباشرة العقود .. إلى آخر هذه الحقوق التي ما تزال المرأة الغربية تجاهد لتحصل عليها، كما اهتم بالضعاف بصفة عامة فقال: (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة) وأشار بالسبابة والوسطى، وقال: (اتقوا الله في الضعيفين: اليتيم والعبد)، وفي رواية: (المرأة والعبد)([6]).

وعلى نحو ما حار أعداء الإسلام من العرب من فرط إعجابهم بشخص النبي الأكرم ﷺ، حار أعداء الإسلام من العجم لنفس السبب، فيكون بما ذكرنا قد شهد بعظمة رسول الله ﷺ كقائد ومرشد ومصلح،

([4]) ينظر ص ٢٧: ٢٩ من كتاب المولد النبوي هدية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على مجلة منبر الإسلام عدد ربيع الأول لسنة ١٣٩٦.

([5]) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩١.

([6]) المولد النبوي ص ١٣٣.

العدو والمحب .. وذلك بعد أن لمس الجميع تجاوب الحياة الفاضلة مع الدنيا العادلة .. يقول مستر ادواردو رومس المستشرق الأمريكي:

"كانت بلاد العرب غارقة قبل نبوة محمد في أحط الدركات حتى ليصعب علينا وصف تلك الخزعبلات التي كانت سائدة في كل مكان، فالفوضى العظيمة التي كان الناس منهمكين فيها في ذلك العصر وجرائم الأطفال ووأد البنات وهن أحياء والضحايا البشرية التي كانت تقدم باسم الدين والحروب الدائمة التي تنشب آنا بعد آن بين القبائل المختلفة، كل هذه كانت سببا في سيادة الهمجية بين الناس وازدياد الجرائم وانتهاك الحرمات، وهذه حقيقة يحملها التاريخ ولا ينكرها" إلي أن قال:

"وأما الأديان السماوية التي جاء بها موسي وعيسي وغيرهما من الأنبياء، قد فقدت نقاءها وفضيلتها الأصلية في ذلك العهد وعبثت بها أيدي العابثين، فحرفوا كلام الله ولوثوا معتقداتهم بخزعبلات واعتقادات لم ينزل الله بها من سلطان حتى أصبح الناس لا يفرقون بين الفضيلة والرذيلة وبين الحق والباطل .. وهكذا كانت أحوال سكان شبه الجزيرة وتلك عاداتهم، حينما جاء محمد شارحا للعالم رسالة الواحد القهار حاملا بيده اليمني الهدي والفرقان وبيده اليسرى نور المدينة الوضاء ليخرج الناس من الظلمات إلي النور، وهناك بزغ فجر عصر جديد كان يري في الأفق وبشرت الأيام بسطوع شمس الفرقان وانقشاع سحب الجهالة المظلمة التي أخفت النور السماوي عن أبصار الناس زمنا طويلًا، وأتي اليوم التي أعادت فيه يد المصلح العظيم محمد ما فقد من العدل والحرية والتسامح والفضيلة، هذا قبس من أضواء الرسالة فعظمة صاحب الرسالة العظمي متعددة متنوعة يخطئها العد وتفوق الحصر ولا يحيط بها بيان وحسب رسول الله قول الله فيه: (وإنك لعلي خلق عظيم) [القلم: ٤](٧).

وها هو ذا المؤرخ والفيلسوف الإنجليزي (توماس كارلايل) ت ١٨٨١ م الذي كان يرى أن التاريخ من صنع الأفراد العظام مخالفًا بذلك الفيلسوف (هيجل) الذي يفسر تاريخ العالم بأنه انعكاس للفكرة أو لما يسميه بالمطلق .. ومخالفا بذلك(كارل ماركس) الذي يفسر التاريخ بالصراع الدائم بين قوي الإنتاج من ناحية وعلاقات الإنتاج من ناحية أخري.

وقد طبق توماس(كارلايل) نظريته هذه في تفسير التاريخ، فألف كتابا بعنوان (في البطولة والأبطال وعبادة البطولة في التاريخ) وقد اختار في كتابه هذا عشرة أبطال صنعوا التاريخ وأثروا فيه وجعل في مقدمتهم الرسول محمدًا ﷺ .. فقد أفرد له فصلا طويلا في هذا الكتاب تحت عنوان: (البطل في صورة نبي – محمد رسول الإسلام) وقد دافع في هذه المقالة عن الرسول ﷺ دفاعًا شديدا أخرس به هؤلاء الذين يريدون أن ينالوا من الإسلام عن طريق النيل من رسوله عليه السلام .. يقول (توماس كارلايل):

"لقد أصبح من أكبر العار علي أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغي إلي من يظن أن دين الإسلام كذب وأن محمدًا خداع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت وستزال السراج المنير" .. ويستمر توماس كارلايل في دفاعه عن الرسول وبأسلوبه المنطقي فيقول:

"هل رأيتم رجلا كاذبًا يستطيع أن يوجد دينا وينشره؟ .. عجبا والله أن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتا من الطوب" .. ثم يقول:

"كذب والله ما يذيعه هؤلاء الكفار، أما هذا الرجل العظيم فإني أقول عنه يقينا أنه من المحال أن يكون كاذبًا، فإني أري الصدق أساسه وأساس ما يتصف به من فضل ومحمدة" .. وبمثل هذا الحماس والإعجاب ينطلق توماس كارلايل مدافعا عن الرسول الكريم.

وها هو الكاتب والفيلسوف الروسي ليوتو لستوي الذي يعد من أكبر كتاب العالم والذي مات عام ١٩١٠ م .. لقد وقف هذا الكاتب موقفا مشرفًا من الإسلام ورسوله، وذلك عندما استعرت تلك الحملة المسعورة ضدهما وراح يشمر عن ساعديه مدافعا ومنافحا ومبديًا إعجابه بالإسلام ورسول الإسلام،

---

(7) السابق ص ٢٩، ٣٠.

ونتيجة لهذا الموقف المنصف فقد ناصبه رجال الدين العداء ولكنه ظل علي رأيه .. وقد كان علي صلة وثيقة بالأستاذ الإمام محمد عبده الذي كتب له يشكره علي موقفه من السلام ورسول الإسلام، ويواسيه في موقف الكنيسة منه قائلا: "فليس ما حصل من رؤساء الدين سوي اعتراف منهم أعلنوه للناس: إنك لست من القوم الضالين".

يقول تولستوي معبرا عن إعجابه بالرسول: "لا ريب أن هذا النبي من كبار المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه أنه هدي أمة برمتها إلي نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء، ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقي والتقدم وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة عظيمة وحكمة، وإن رجلا مثله جدير بالاحترام والإجلال".

وتلك شهادة أخرى للفيلسوف(فنلي) الذي يقول في كتابه (اليونان تحت حكم الرومان):

"أن نجاح محمد رسول الإسلام كمشرع بين أقدم الأمم وأثبت البلدان قدما في القانون – يريد اليونان والرومان – علي مدي أجيال طويلة في شتي نواحي الهيكل الاجتماعي، دليل علي أن هذا الرجل الخارق قد كون من مزيج من كفايات ممتازة".

وفي كلام له دلالته يقول (جورج برناردشو) الكاتب البريطاني العالمي الشهير الذي توفي عام ١٩٥٠ م، يقول في الرسول عليه السلام:

"إني أعتقد أن رجلا مثل محمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه لتم له النجاح في حكمه ولقاد العالم إلي الخير وحل مشاكله علي وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة، أجل.. ما أحوج العالم اليوم إلي رجل كمحمد ليحل قضاياه المعقدة وهو جالس يحتسي فنجانا من القهوة".

ومن عظيم ما قاله مفكرو أوروبا المنصفين، ما جاء على لسان (ول ديورانت) صاحب الموسوعة التاريخية الرائعة (قصة الحضارة)، فقد أفرد للحضارة الإسلامية مجلدًا خاصًا من هذه الموسوعة، وأوضح فيه ما كان لها من أثر في حضارة أوربا والعالم أجمع .. وقد أشاد في هذا المجلد بفضل محمد ﷺ باعث الحضارة الإسلامية فقال:

"إذا ما حكمنا علي العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا أن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ علي نفسه أن يرفع المستوي الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يزاحمه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلّ أن نجد إنسانًا غيره حقق ما كان يحلم به من إصلاح"[٨].

ويقول الدكتور (ريكورد الفاريركو ستيلو) الأستاذ بجامعة المكسيك بعد أن أشهر إسلامه: "إن إعجابي برسول الله ﷺ فاق الخيال، فقد أيقنت بدء دراستي لشخصية الرسول المختار أن الدين الإسلامي هو خير الأديان، وأن سيدنا محمدًا ﷺ هذا، كفيل أن يجذب بخلقه الكريم الذي رباه الله عليه كل العقول بمذاهبها وأجناسها المتعددة، وأن نبي الله المختار شخصية فريدة في نوعها في هذا الوجود، لأنها أقامت الدنيا وأقعدتها بثورة ما زالت حتى اليوم، بدليل الكثرة اليومية الهائلة التي تدخل في الدين الإسلامي عن طريقه، وعن طريق الخلق الذي جعله الله كريمًا بها فأعز بها الإسلام".

أما الكونت (دي كستري) وهو مسيحي فيقول: "إن الذين يعتنقون الإسلام في وقتنا هذا – القرن العشرين – من المسيحيين وغيرهم إنما هم من الخاصة، سواء أكانوا من الهيئات الاجتماعية الأوربية أم الأمريكية، كما أن إخلاصهم في ذلك لا شك فيه، لأنهم أبعد ما يكونون عن الأغراض المادية"[٩].

تلك هي مجرد أمثلة من بين عشرات المعجبين الأوربيين، وإنها لرشفة من كأس وشعاع من شمس، فلعلها تطفئ الغلة وتضئ السبيل .. ومما من شك أن الأجانب الذين اعتنقوا الإسلام، والذين جاوزوا كل عد، إنما اعتنقوه متأثرين بقوة رسالة الله، وبما تخلق به رسوله الكريم ﷺ وبعد دراسات مستفيضة في

([8]) ينظر ص ١٨٦: ١٨٩ من المولد النبوي.

([9]) ينظر السابق ص ١٧٨ من كتاب المولد النبوي.

كل شئون دين الله الحنيف بفهم ووعي وإدراك، فتهيأت قلوبهم للإيمان وسوف يزداد الذين يدخلون في دين الله إلى أن يصبح دينًا للبشر أجمعين، لأنه دين الحق الذي اختاره الله عقيدة للناس أجمعين.

****

المبحث الثاني

طرفًا من شمائله التي توجب محبته ﷺ والتخلق بأخلاقه
وما يستتبع ذلك من حقوق وواجبات

أولًا: حاجة البشرية للتعرف على خلائق العظماء وعلى رأسهم نبينا ﷺ
واتخاذهم قدوة كحاجتها إلى الماء والغذاء
ثانيًا: بعضًا من شمائله ﷺ وأخلاقه الموجبة لمحبته والتأسي به
ثالثًا: ما يستلزمه الإيمان بالنبي والتأسي بأخلاقه

أولًا: حاجة البشرية للتعرف على خلائق العظماء وعلى رأسهم نبينا ﷺ واتخاذهم قدوة كحاجتها إلى الماء والغذاء

لأن يعجب المؤمنون بنبيهم – عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام – ويتأثروا بأخلاقه ويجدوا فيه المثل الأعلى، فلأن هذا هو مقتضى دينهم الذي أوجب عليهم ذلك في نحو قوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا) [الأحزاب: ٢١] .. أما أن يعجب به ويحدث له الشيء ذاته ممن لم يؤمن بالإسلام من عقلاء البشر – على نحو ما رأينا – فهذا ما يسترعي الانتباه، ولا غرو فإن أي منصف على ظهر هذه البسيطة لن يجد أفضل ولا أعلى مثلًا، ولا أولى ولا أعظم خلقًا، ولا أجدر ولا أحسن قدوة منه ﷺ.

وليس هذا كلام يطلق هكذا على عواهنه أو بدون دليل ولا برهان .. فإن من نظر في حياة نبينا ﷺ الذي ملأ الله به الكون رحمة وعدلا، والدنيا هدي ونورا، والقلوب راحة وأمنا، يجد أنها مليئة بعظيم المفاخر وجليل المآثر، وأنه يجب علي الناس كافة أن يتخذوا منها نبراسًا ومشكاة، ليصلوا إلي سعادتهم وفلاحهم في معاشهم ومعادهم .. وما أحوجنا – وقد أصبحت حالتنا الخلقية من أشد أمراضنا الاجتماعية – أن نرجع إلي سيرة العظماء من الرجال، نتعرف على أخلاقهم، التي منها تكونت عظمتهم وشمائلهم، والتي يرجع إليها نجاحهم فما بالك لو كان من بين هؤلاء من جمع الله له شمائل جميع العظماء؟ وما بالك لو كان هؤلاء العظماء الذين جمع له شمائلهم هم الأنبياء والمرسلين، وهو وهم من قال فيه رب الناس بعد أن ذكر من حال الأنبياء ما ذكر: (أولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده) [الأنعام: ٩٠]؟.

ورسولنا ﷺ جدير حقا بأن يُتَّخَذَ مثلًا أعلي بما ذكرنا، فلقد أوتي ﷺ أبوة آدم، وأوتي ﷺ خلة إبراهيم، وأوتي ﷺ شجاعة نوح، وأوتي ﷺ قوة موسى، وأوتي ﷺ زهد عيسى، وأوتي ﷺ حكمة لقمان، وأوتي ﷺ تواضع إلياس، وأوتي ﷺ جمال يوسف، وأوتي ﷺ جلد يعقوب، وأوتي ﷺ صبر أيوب، وأوتي ﷺ لغة إسماعيل .. ومما أجمع عليه أهل العلم أن خصال الكمال والجلال النسبي إذا وقعت منها واحدة أو اثنتان لشخص ما من عامة البشر، عظم قدره وضربت باسمه الأمثال، فيقال: (أحلم من الأحنف)، و(أكرم من حاتم)، و(أذكى من إياس) إلخ .. فما بالك بمن عظم قدره حتى اجتمعت فيه كل خصال الخير التي وصف بها صفوة خلق الله من الأنبياء والمرسلين؟؟!!.

ورسولنا كذلك جدير حقًا بأن يتخذ مثلًا أعلى في كل ناحية من نواحي حياته، فهو الأسوة الحسنة بشهادة الله، وسيرته بشهادة المؤمن والكافر من أعظم السير، ودراستها من أجل العظات، وهي مع ذلك كثيرة النواحي متشعبة المناحي!! لم يشبه النبيَّ الأكرم، والرسولَ الأعظمَ أحدٌ في بطولته وعظمته، ولا يستطيع أحد في الوجود أن يوفي النبي حقه أو يعبر عن هذه العظمة الرائعة بكلمات وألفاظ مهما أوتي من فصاحة وبيان، وأني لضعيف البصر أن يمعن نظره في ضوء الشمس الباهر وشعاعها اللامع؟؟ وأني لقوة محدودة وكلمات معدودة أن تصف نفسا كبيرة، لا يُدرك مداها ولا يَعرفُ غايتَها ومنتهاها إلا الله؟؟ ولكن ذلك لا يمنعنا أن ننقب عن الشرف لندرك طرفًا منه، ونعرض الكمال لتتحلي النفوس وتقترب من سماته وصفاته، وننثر الدر النفيس بين أيدينا لنملأ العيون من جماله وسحره، ونقلب الطيب لنظفر بنفحه من شذاه وعطره.

وليكن حديثنا عمن تخلق بأخلاق العظماء وجمعها بين أعطافه وكان مضرب المثل في ذلك بشهادة القريب والبعيد والعدو والصديق، من بداية بعثته عليه من الله الصلاة والسلام.

بعد أن تزوج ﷺ من خديجة بنت خويلد الأسدى رضي الله عنها وجد في رحابها اليسر والحنو، ومال أكثر إلي التحنث في الخلوة، فآثر الاعتكاف في غار حراء متعبدًا لله علي نحو من ملة جده إبراهيم الخليل عليه السلام، وهنا فرغت نفسه تمامًا من مشاغل الدنيا، وتهيأت لتلقي وحي السماء، فجاءه جبريل الأمين في حراء، ولا بد أنه عليه السلام أُخذ لهذا الذي رآه دون توقع، فملأ عليه الغار وسد بابه، ولكن جبريل ضمه في حنان ورفق قائلا له: يا محمد (اقرأ باسم ربك الذي خلق) [العلق: ١] .. وهنا يجيبه ﷺ

في صدق: (ما أنا بقارئ) .. ويكرر جبريل الأمر بالقراءة، ولا يزيد النبي علي إجابته السابقة، حتى إذا أنس ﷺ بعد الأمر الثالث إلي جبريل تلا الآيات وراءه، ثم انصرف جبريل ولا يدري النبي محمد أين ذهب؟.

موقف يذهل العقول، ويأخذ بالألباب، ولذا نري النبي ﷺ يسارع إلي مكة، وقد بدا عليه الرعش، وتفصد عرقا، وما كادت زوجه تفتح له الباب حتى طلب إليها أن تغطيه عسي أن يذهب عنه الروع، ثم يحكي لخديجة ما رآه من أمر هذا الغريب الذي يطلب إليه أن يقرأ، فتطمئنه رضي الله عنها بفطنتها الموهوبة، وعقلها السديد، وتقول له في تأكيد الواثقة بالله المتفائلة بمستقبل زوجها الأمين: (كلا والله .. أنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين علي نوائب الدهر).

وهذه الخلائق لا تجتمع في شخص حتى يكون مرشحًا لقيادة الناس إلي طريق الخير والحق والعدل، لأنها خلائق يهبها الله للإنسان العظيم الذي يصنعه علي عينه، ويهيئ له المناخ لقيادة الشعوب، وهداية الناس إلي ما يسعدهم في الحياة، بل هي المقومات الأساسية التي يشب عليها كل رسول، وينشأ فيها حتى يكون قادرًا علي إزاحة الجبابرة والطغاة والمعاندين ودعاء الفناء.

ويبدأ النبي في الاستعداد لتلقي الوحي، ويعاوده الحنين إلي لقاء الروح الأمين، ثم يلتقيان كلما دعت مناسبة، أو جدَّ موقف أو أرادت السماء إبلاغ بني الأرض ما هم في حاجة إليه ليستقيموا علي الطريقة، ويستمر الوحي قرابة ربع قرن من الزمان معلمًا ومرشدًا، وداعيًا إلي عبادة الله وحده، وترك المنكرات والأخذ بكل ما يجعل المجتمع وحده واحدة كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر.

لقد ضم كتاب الله كل ما تحتاج إليه الإنسانية، وشرحه الرسول بأحاديثه وأفعاله ومواقفه بحيث لا يحتاج الناس إلي غيرهما في شئونهم الدينية والدنيوية: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنة رسوله)، (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلي النور) [إبراهيم: ١].

وكان هذا الدين حصاد الأديان السماوية السابقة، إذ اشتمل علي تشريعات ومعاملات وعبادات وأدعية تتناسب وتقدُمَ العقل البشري في الزمان والمكان، مع وضع قواعد عامة وضوابط محكمة لما عساه يجد في مجتمعات البشر من أحداث أو معاملات لم تكن موجودة في عصر النبي ﷺ وصحابته الراشدين، وهذه القواعد والضوابط قابلة للحركة والمرونة مع سنة التطور في الحياة، وتدافع الناس في مجتمع الإنسانية الأوسع([10]).

ثانيًا: بعضًا من شمائله ﷺ وأخلاقه الموجبة لمحبته والتأسي به:

لقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى الذي يجب أن يقتدي به في أقواله وأفعاله وأحواله؛ لأنه لا ينطق كلمة ولا يفعل شيئًا عن هوي، بل عن وحي وتنزيل: (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا) [النساء: ١١٣]، قال ابن كثير: "أمر الله تبارك وتعالي الناس بالتأسي بالنبي ﷺ في صبره ومثابرته ومجاهدته ومرابطته"، كيف لا.. وهو القدوة المثلي لأمته في حياته الخاصة والعامة وفي علاقته بربه، وعلاقته بالناس.

وقد اختلف في هذه الأسوة هل هي علي الإيجاب أو علي الاستحباب، علي قولين: أحدهما أنها علي الإيجاب حتى يقوم دليل علي الاستحباب .. وثانيهما أن تحمل علي الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب .. ويحتمل أن تحمل على الإيجاب في أمور الدين وعلي الاستحباب في أمور الدنيا.

والباحث عن عظمة النبي ﷺ يجد أن سرها يكمن في أنها جاءت تنفيذًا عمليًا لكتاب الله تعالى، إذ كان ﷺ قرآنًا يتحرك على الأرض لا يرغب إلا فيما يرغب فيه القرآن ولا يحب إلا ما أحبه ولا يكره إلا ما كرهه .. ولقد سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين عن أخلاق رسول الله ﷺ وهو أكثر الناس مخالطة له

([10]) المولد النبوي ص ١٢٧.

وأقربهم إلى نفسه وقلبه وأعرفهم بمقامه وخلقه، فقالت للسائل: (أما تقرأ القرآن؟)، قال سائلها سعد بن هشام رضي الله عنه: بلى، فقالت: (كان خلقه القرآن) .. وعندما سئل علي بن أبي طالب عن أخلاقه ﷺ قال: (هل تستطيع إحصاء نعم الله التي منحها لعباده في الأرض؟ فقال: كيف لي بذلك؟ قال: أتريد مني إحصاء خُلقه ﷺ وقد وصفه الحق جل جلاله بقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم) [القلم: ٤]، بينما يقول عن كل ما في هذه الحياة الدنيا: (قل متاع الدنيا قليل) [النساء: ٧٧] .. ولقد وضح ﷺ مهمته ورسالته في كلمات موجزة في قوله فيما أخرجه الإمام مالك في الموطأ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

ولأنه المرسل إلي الناس كافه كما قال تعالي: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرًا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [سبأ: ٢٨]، والمعد من ربه لتحمل أعباء الرسالة العالمية والدين العالمي، كما قال تعالي: (تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيرًا) [الفرقان: ١]، والمثل الأعلى ليكون القدوة العملية والأسوة الحسنة الواقعية .. فقد صاغ الله تعالي عظمته من هذه القدوة التي توجب الاقتداء، وذلك بما أودع فيه من روح العظمة، فعظمة النبي ﷺ هي مجموع من القدوة التي خصه الله بها مع مجموع ما يستأهل أن يكون محل الاقتداء من أتباعه المؤمنين بدعوته الواثقين برسالته.

فكان مثل النبي ﷺ في عظمته والاقتداء به، مع أتباعه المقتفين أثره .. مثل الأسلاك الكهربية الحاملة للتيار الكهربيّ لكن ليس بينها اتصال واجتماع، حتى وصلت أطرافها وجمعتها الدعوة المحمدية والقدوة العملية علي مجمع واحد، ثم كان المصطفي ﷺ وعمله ودعوته أشبه بمفتاح الكهرباء الذي ما أن وضع يده علي مجمعها وضغط علي مفتاحها حتى اشتعلت الجزيرة العربية نورًا، شع في المشارق والمغارب، إصلاحا وتعميرًا، وعدلًا وسلامًا.

تلك الموجة العمرانية الإصلاحية التي أنارت قلب آسيا وإفريقيا وزلزلت عروش كسرى وقيصر في فترة وجيزة لم يعرف التاريخ لها مثيلًا، ثم قُلبت الأمة الأمية قلبة حقيقية حتى أصبح كل فرد من أفراد الأمة في حكمة الفيلسوف عقلًا وفكرًا، وفي شجاعة القائد قوة ودربة، وفي بسالة الجندي شجاعة وتضحية .. وعاد كل منها في عزة الملوك وفي طهارة الملائكة، حتى لو قدر أن يبعث واحد منهم من قبره في حياتنا هذه لكفاها بلسمًا وشفاء.

وإن من سرَّح طرفه في تاريخ النبي ﷺ الحافل بالمكرمات الزاخر بالمعالي، ليجد أن خفض الجناح ورقة الحاشية والرحمة الفياضة كانت من أبرز صفاته ﷺ ومن أطيب شمائله .. ولقد اتسعت رحمته وامتدت رحاب نفسه وانبسط أفقها حتى وسعت الناس جميعًا وتواضعت وهي النفس الشامخة العالية، فخالطت الصبيان والأطفال تداعبهم وتدخل السرور عليهم .. روي أن الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل على جده ﷺ فركب ظهره الشريف وهو ساجد بين يدي ربه، فأبت رحمته أن يشغل الصبي عن لعبته أو يحول بينه وبين لهوه، فأطال السجود حتى قضى الصبي أمره ونزل عن ظهره غير معجل، فسأله بعض أصحابه: نراك أطلت سجودك يا رسول الله، فقال: (إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله).

وليس في سجل المودة الإنسانية ولا في تاريخ البر والوفاء من حنانه ﷺ على مرضعته السيدة حليمة السعدية، ومن حفاوته بها أنه عندما قدمت عليه – وقد جاوز الأربعين من عمره – تلقاها هاشا باشًّا هاتفًا بها: أمي .. أمي، وبسط ﷺ لها رداءه وأجزل لها عطاءه وبذل لها كرمه ووفاءه، وهذا أنس بن مالك يقول: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء تركته لم تركته، فأية عاطفة تتفجر حنانًا مثل هذه العاطفة؟ وأي قلب ينبض بالخير مثل هذا القلب؟ وأية نفس تفيض رحمة مثل هذه النفس الكريمة التي لم تقتصر رحمتها على معاملة البشر حتى رأيناها تنفسح وتمتد حتى تبسط رواقها على الحيوانات العجماوات فتغمرها وتفيض عليها؟ ألم يكن ﷺ يميل الإناء للهرة لتشرب ويفتح لها بابه حين تطلب عنده مأوى ويبسط كفه للشاة لتأكل ما فيها من الحب والنوى فلا يقبضها حتى تفرغ الشاة من أكلها؟

لقد كان رسول الله ﷺ يصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عمن أساء إليه ويحسن إلى جاره ويناصر الضعيف ويغيث الملهوف ويكرم اليتيم ويرحم الفقير والمسكين ويجود حيث يبخل الناس

ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر .. كان دائم البشر حسن الخلق .. ليس بعيَّاب ولا بطعَّان ولا بفاحش ولا بذئ .. يجيب دعوة من دعاه ويقبل الهدية ويكافئ عليها ويطعم منها من حضر ويدخر نصيب من غاب .. كان يعود المريض ماشيًا ولو كان في أقصى المدينة ويؤثر الزائر بوسادته وربما بسط له ثوبه .. كان يطعم القوم ويسقيهم اللبن والماء ويأكل سؤرهم ويشرب آخرهم ويقول: (ساقي القوم آخرهم شربًا).

كان ﷺ اجتماعيًا يشارك الناس أفراحهم وأطراحهم ومشكلاتهم .. ويقاسمهم في سرائهم وضرائهم .. يحبهم ويسهر عليهم في إيثار ووفاء إخوة وأتباعا أزواجًا وأولادا عبيدًا وخدمًا .. ولقد عرف ﷺ بالتواضع فكان يركب الحمار ويردف خلفه .. وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس ويأكل مع خادمه ويزوره ويتلطف معه في القول.

كما اتسم ﷺ بالبساطة واليسر في لقاء الأمور وتوجيهها .. فما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم إثمًا .. وكان يمزح ويتفكه ولا يقول إلا حقًا .. أتته عجوز ذات مرة فقال لها: (لن يدخل الجنة عجوز)، فبكت فقال: إنك لست بعجوز يومئذ، قال الله تعالى: (إنا أنشأناهن إنشاء. فجعلناهن أبكارًا. عربا أترابًا) [الواقعة: ٣٥: ٣٧].

كان مثالًا للنظافة والتزين والتجمل لا يُرى إلا في أكمل مظهر، ولما سئل عن ذلك قال: (إن الله جميل يحب من أحدكم إذا خرج لإخوانه أن يتجمل لهم) .. كما عرف بالزعامة فكان مصلحًا، جمع إلى ضبط النفس قوة التأثير وسداد القول .. وكان فعالا أكثر منه قوالًا .. وكان كذلك مثلًا للكياسة دون تكبر أو طغيان فعقد المعاهدات وبعث البعوث وبث السرايا .. وعرف عنه الكتمان والتورية والحيطة في الحرب .. كان أشجع الناس، ووصل في استبساله لحد أن قال عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحُدُق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه).

وقد تجلت شجاعته في حروبه وغزواته فكان بحق مضرب المثل وهو الذي ما تخرج من كلية ولا معهد وما تعَلّم فيهما فنون الحرب والهندسة العسكرية وإنما علمه ربه .. لقد كان يعلم من فنون الحرب بالإلهام ما لا يعلمه غيره بالدرس والمران .. فكان يختار الموقع ويعمل بالمشورة وينتقل بجيشه إلى الموقع الذي يمكنه من هزيمة أعدائه ويتفنن في وسائل الدفاع ويبعث من يتعرف على أسرار العدو ويرسل السرية بالأوامر المغلقة المختومة.

كان ﷺ رئيس دولة الإسلام كما كان القائد الأعلى لجيش الإسلام .. وهو بالرئاسة للدولة كان يكره الحرب ويجنح للسلم ويؤثر حل مشاكله بالوسائل السياسية كما حدث في صلح الحديبية حقنًا للدماء وتفرغًا لنشر الدعوة الإسلامية وتركيز دعائمها وقواعدها حتى لا يكون لأعدائه سبيل إلى تشويه دعوته وتنفير الناس منها .. فإذا ما استنفذ وسائله السياسية لجأ إلى الوسائل العسكرية ولم يسعه إلا أن يركب المركب الصعب وأن يسلك ذلك الطريق الشائك طريق الجهاد والقتال مكرهًا وإن كان فيه الخير، (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم) [البقرة: ٢١٦].

كان رسول الله ﷺ في معاركه كلها يمزج قيادته العليا بالرحمة التي لم تعرفها جميع ولا سائر القيادات العسكرية الأخرى .. نلمس ذلك في قوله: (من آذى ذميًا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) .. وفي موقفه من الأسرى بعد موقعة بدر وغيرها .. وحين دخل مكة منتصرًا يقول: (اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله قريشًا)، ويعفو عمن ناصبوه العداء قائلًا لهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) .. فلقد كان قلبه ينبض بالعفو والرحمة على من كانوا بالأمس يطاردونه وينكرون دعوته الإنسانية الكبرى .. كما كان يعلم المقاتلين آداب الحرب وألا يقتلوا شيخًا ولا طفلًا ولا امرأة ولا عابدًا في صومعة، وألا يقطعوا شجرة إلا لمصلحة .. ويعلمهم مع ذلك آداب الانتصار وألا ينتهكوا الأعراض ولا ينتهبوا الأموال ولا يستبيحوا حرمات المعابد والمقدسات.

فكان لمكارم أخلاقه ﷺ وعلو همته على النحو الذي رأينا، الأثر البالغ في نجاح دعوته ونشر رسالته، واستطاع بتيك الأخلاق أن يؤسس في زمن قصير ومدة وجيزة دولة قوية وأمة فتية، مرهوبة الجانب

مسموعة الكلمة واسعة السلطان نافذة الحكم موفورة الكرامة فتوافدت إليها الوفود وانقادت لها القلوب واطمأنت إليها النفوس لما رأت لين جانبه ﷺ وكرم أخلاق([11]).

ففداك أبي وأمي يا رسول الله .. وسلام عليك يا سيدي وقرة عيني في الأولين، وسلام عليك سيدي في الآخرين، وسلام عليك في كل وقت وحين، وسلام عليك في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.. وسلام على من اقتفى أثرك واقتدى بك واستن بسنتك وتخلق بأخلاقك إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ثالثًا: ما يستلزمه الإيمان بالنبي والتأسي بأخلاقه

١ـ طاعة أمره وترك زجره:

يقول تعالي: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا) [النساء: ٦٩]، ويقول جل ذكره: (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) [محمد: ٣٣]، ويقول: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) [النساء: ٨٠].

٢ـ الإقتداء به قولا وعملا والحذر من مخالفه:

قال جل وعلا: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) [الأحزاب: ١٢]، ويقول أيضا عن استقامة منهجه: (وإنك لتهدي إلي صراط مستقيم) [الشورى: ٢٥]، وقال ﷺ: (تركتكم علي بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك)([12]) .. قال الشافعي في (الرسالة): "وقد سن رسول الله ﷺ مع كتاب الله وسن فيما ليس فيه بعينه نص كتاب ، وكل ما سن فقد ألزمنا اله أتباعه وجعل في أتباعه طاعته ، وفي القعود عن أتباعه معصيته التي لم يعذر بها خلقا ولم يجعل منه من أتباع رسول ﷺ الله مخرجًا".

وفي التحذير من مخالفته يقول سبحانه: (فليحذر الذين يخالفون الله عن أمره أن يصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) [النور: ٦٣]، قال ابن كثير: "أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود علي قائله وفاعله كائن من كان، كما ثبت في الصحيحين (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)، أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهرًا (أن تصيبهم فتنة) أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة (أو يصيبهم عذاب أليم) [النور: ٦٣]أي في الدنيا بقتل أوحد أو حبس أو نحو ذلك"([13]) انتهي.

٣ ـ التحاكم إليه ﷺ عند التخاصم مع الرضي بحكمه:

وفي ذلك يقول رب العزة سبحانه: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا) [الأحزاب: ٣٦]، وقال سبحانه: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا) [النساء: ٦٥] .. ويقول أيضا: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تفسيرًا) [النساء: ٥٩].

([11]) مجلة الأزهر ص ٣٠٢ عدد ربيع الأول لسنة ١٤١٥ وينظر نور اليقين ص ٢٩١ وما بعدها.

([12]) أخرجه أحمد وابن ماجة.

([13]) تفسير ابن كثير٣/ ٣١٦.

٤ ـ تعظيمه وتوقيره ونصرته والدفاع عنه ﷺ:

أمر الله بتعزيزه وتوقيره فقال: (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) [الفتح: ٩]، والتعزيز: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه منكل ما يخرجه عن حد الوقار خاصة وأن الله جل وعلا قد خصه بمزيد فضل وتوقير لم يعطه لرسول قبله، فقال: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا) [النور: ٦٣]، فنهي أن يقولوا يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله.

وكيف يخاطبونه بذلك والله تعالى أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط،بل قال: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرا ونذيرًا) [الفتح: ٨]، (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) [المائدة: ٦٧]، (يا أيها المزمل. قم الليل) [المزمل: ١، ٢]، يا أيها المدثر. قم فأنذر) [المدثر: ١، ٢]، مع أنه سبحانه قال حتى في حق إخوانه من أولي العزم من الرسل: (يا نوح اهبط بسلام) [هود: ٤٨]، (يا إبراهيم. قد صدقت الرؤيا) [الصافات: ١٠٤، ١٠٥]، (يا موسى إني اصطفيتك على الناس) [الأعراف: ١٤٤]، (يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) [المائدة: ١١٠]، كما قال في غيرهم: (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) [البقرة: ٣٥]، (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) [ص: ٢٦]، عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه.

٥ـ عدم رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ: حيث يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم. يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنت تشعرون) [الحجرات: ١، ٢] .. يقول بعض أهل العلم: "يحرم التقدم بين يديه بالكلم حتى يأذن، ويحرم رفع الصوت فوت صوته وأن يُجهرَ له بالكلام كما يَجهر الرجلُ للرجل، وأخبر أن ذلك سبب حبوط العمل، فهذا يدل على أنه يقتضي الكفر لأن العمل لا يحبط إلا بالكفر، وأخبر أن الذين يغضون أصواتهم عنده هم الذين امتُحنت قلوبهم للتقوى، وأن الله يغفر لهم ويرحمهم، وأخبر أن الذين ينادونه وهو في منزله لا يعقلون لكونهم رفعوا أصواتهم عليه ولكونهم لم يصبروا حتى يخرج، ولكن أزعجوه إلى الخروج"([١٤]).

قال القاضي أبو بكر بن العربي: "حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه، كما يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به"[١٥].

٦ـ الصلاة والسلام عليه ﷺ: حيث يقول سبحانه: (إن الله وملائكة يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا) [الأحزاب: ٥٦]، ويقول ﷺ – فيما رواه مسلم (٤٠٨) –: (من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا).

٧ـ تقديم محبته ﷺ على النفس والولد والوالد والناس أجمعين:

ومن الأحاديث الصحيحة المشهورة ما جاء في البخاري من حديث أنس قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)، وفي الصحيحين من حديث عمر قال: (يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي)، فقال: (لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك)، فقال: (والله يا رسول الله لأنت أحب إليّ من نفسي)، قال: الآن يا عمر.

([14]) الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٢٣.

([15]) ينظر تفسير الآية في أحكام القرآن لابن العربي المالكي.

٨- عدم الكذب عليه ﷺ: إذ تلك من أعظم الكبائر وفي شأنها يقول ﷺ – كما في صحيح الجامع (٢١٤٢) –: (من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار).

٩- تبليغ دعوته ورسالته ﷺ: حيث يقول سبحانه: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)، ويقول ﷺ – كما في صحيح الترمذي (٢٦٥٨) –: (نضر الله امرأً سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع).

١٠- الدفاع عن سنته ﷺ ضد المحرفين والمبتدعين: وذلك بإحياء سنته وإماتة البدعة وبيان ذلك للناس مع بيان أنه ما قامت بدعة إلا هُدِّمت أمامها سنة .. وقد ثبت في المستدرك وصحيح أبي داود (٤٦٠٧) من حديث العرباض بن سارية قول النبي ﷺ: (إنه من يعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين،عضّوا عليها بالنواجذ وإياكم بمحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة).

١١- سؤال الوسيلة له ﷺ بعد الآذان:

وهو ما جاء في قوله ﷺ – فيما أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٤) –: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته .. حلت له شفاعتي يوم القيامة)([16]).

فاللهم اجعلنا لنبيك ﷺ أتباعًا، ولسنته أنصارا، وله في الجنة رفاقًا وأصحابًا، إنك على كل ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

خاتمة:

وبعد: فلقد آن للداني وللقاصي وللمسلم ولغير المسلم أن يدرك أن محمدًا ﷺ ما جاء إلا لإصلاح الناس كل الناس في معاشهم ومعادهم ودنياهم وأخراهم، وإقامة مجتمع بشري عالمي صالح لا انحراف فيه ولا عوج في سلوكه ولا اضطراب في عواطفه وأحاسيسه، مجتمع لا يشيع الطغيان في أغنيائه وأمرائه، ولا تسيطر الذلة والمهانة على فقرائه وضعفائه، فالقوي فيه ضعيف له والضعيف فيه قوي به.

لقد غيرت حياة محمد ودعوته مقاييس الحياة، وعدلت اتجاه التاريخ، وأمدت البشرية بفيضها الإنساني الضخم الذي ما يزال يدفعها إلى اليوم وإلى الأجيال القادمة والطويلة المدى من بعد نحو الحق والخير .. وإن عملًا كهذا لكاف حد الكفاية لتخويل محمد ﷺ المكان الأسنى من التعظيم والإعجاب والثناء بين صفوة الأخيار الخالدين، فقد نقل قومه من الإيمان بالأصنام الشائهة إلى الإيمان بالله ونقل العالم من ركود إلى حركة ومن فوضى إلى نظام ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية كما لم ينقلهم قبله ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات الأخرى .. فما بال الحانقين – ولا نقول الجاهلين لأن الذي يعرف دقائق الإسلام وينقب عن دخائله ومخارجه ليتصيد أخطاء أو يتهم ببهتان لا يعد جاهلًا – يتنكرون لمن خلع عليهم ثوب الحضارة وجعلهم آدميين بعد أن كانوا أشباحًا وأشباه بشر يأكل ولا زال القوي منهم الضعيف ويأتون الفواحش ما ظهر منا وما بطن ويقطعوا الأرحام ويسيئوا الجوار ا إلى آخر ما حكاه جعفر بن أبي طالب وهو يحكي للنجاشي حال الجاهلية الأولى([17]) والتي كانت ولا زالت تضرب بأطنابها وبجذورها في الأرض؟؟

والله من وراء القصد وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

([16]) ينظر مجلة التوحيد ص ١٥ وما بعدها عدد ربيع الأول ١٤١٧ هـ.

([17]) ينظر سيرة ابن هشام١/ ٢٩٠.

أهم المراجع

١ – (الأزهر) مجلة شهرية يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عدد ربيع الأول لسنة ١٤١٥.
٢ - تفسير أحكام القرآن لابن العربي المالكي.
٣ - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ط مكتبة مصر بالفجالة.
٤ - التوحيد مجلة تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر عدد ربيع الأول ١٤١٧ هـ.
٥ - الرحيق المختوم لصفي الرحمن مبارك فوري ط دار الوفاء لسنة ١٤٢٤.
٦ – الرسالة للإمام الشافعي
٧ - السيرة النبوية لابن هشام ت طه عبد الرءوف سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية.
٨- الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٩- عظمة الإسلام للأستاذ محمد عطية الإبراشي مكتبة الأسرة.
١٠- المولد النبوي هدية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على مجلة منبر الإسلام عدد ربيع الأول لسنة ١٣٩٦.
١١- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري ت الشيخ نايف العباس.

فهرس البحث

المقدمة
المبحث الأول
اتخاذ الرسول ﷺ قدوة في إصلاح الجوانب الاجتماعية
أولًا: طرفًا من الجوانب الاجتماعية في شخصية الرسول ﷺ
ثانيًا: شهادة الأعداء له ﷺ والحق ما شهدت به الأعداء

المبحث الثاني
طرفًا من شمائله التي توجب محبته ﷺ والتخلق بأخلاقه وما يستتبع ذلك من حقوق وواجبات.
أولًا: حاجة البشرية للتعرف على خلائق العظماء واتخاذهم قدوة.
ثانيًا: بعضًا من شمائله ﷺ وأخلاقه الموجبة لمحبته والتأسي به.
ثالثًا: ما يستلزمه الإيمان بالنبي والتأسي بأخلاقه.

الخاتمة.
ثبت بأهم المصادر والمراجع.
فهرس الموضوعات.